جامعة القيروان
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم علم الآثار

مستلّة

# الأرياف والآثار الريفية ببلاد المغرب والمتوسط

أعمال النّدوة العلميّة الدوليّة السادسة
(القيروان : 14، 15 و16 أفريل 2016)

صورة الغلاف :
قرية العرمة - جبل وسلات
(الصورة لجهاد الصويد)

نصوص جمعها وأعدها للنشر
جعفر بن نصر ومراد عرعار والنوري بوخشيم

الأرياف والآثار الريفية ببلاد المغرب والمتوسط

Campagnes et archéologie rurale au Maghreb et en Méditerranée

9 789938 819151

Université de Kairouan
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines
Département d'Archéologie

Extrait

# Campagnes et archéologie rurale au Maghreb et en Méditerranée

Actes du sixième colloque international
(Kairouan : 14, 15 et 16 avril 2016)

*Photo de couverture :*
Village d'El-Orma-Jebel Ousselat
(Cliché : Jihed Souid)

Textes réunis par
**Jaâfar Ben Nasr, Mourad Arar & Nouri Boukhchim**

# الأرياف والآثار الريفية ببلاد المغرب والمتوسط

**جمع النصوص وأعدها للنشر :**

جعفر بن نصر ومراد عرعار والنوري بوخشيم



ردمد : 978-9938-819-10-6 - تونس – 2017

**تصميم** : توفيق الساسي – **طبع** السانباكت

جامعة القيروان
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم علم الآثار

# الأرياف والآثار الريفية ببلاد المغرب والمتوسط

أعمال النّدوة العلميّة الدوليّة السادسة
لقسم علم الآثار بكليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بالقيروان
(14، 15 و16 أفريل 2016)

نصوص جمعها وأعدها للنشر

**جعفر بن نصر ومراد عرعار والنوري بوخشيم**

تونس - 2017

# الفهرس

# تقديم أعمال الندوة

« **الأرياف والآثار الريفية ببلاد المغرب والمتوسط**» هو موضوع الندوة العلمية الدولية السادسة لقسم علم الآثار بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان (القيروان 6) التي انتظمت أيام 14 و15 و16 أفريل 2016. ويعدّ هذا الكتاب امتدادا لمنشورات القسم السابقة ومنفذا لدراسة إشكاليات أخرى ما تزال عالقة.

يعود اختيار موضوع الأرياف والآثار الريفية إلى أمرين متلازمين. الأول في علاقة بقلّة الدراسات في هذا المجال وإن كانت متفاوتة الأهمية من بلد إلى آخر. والثاني محاولة تجديد المقاربات الرامية إلى تسليط أضواء جديدة على الريف والآثار الريفية حيث ظلّ الاهتمام بهما ثانويا إلى وقت غير بعيد، وتحتاج العديد من الإشكاليّات المتعلّقة بتاريخ المجالات الريفيّة وآثارها إلى نقاش علمي، وربّما إلى مراجعات على ضوء معطيات نصيّة وميدانيّة جديدة.

ولا يخلو هذا الموضوع من صعوبات عديدة حريّ بنا التذكير ببعضها. هناك أولا قضية المصطلحات التي تعبر عن الريف / المجال الريفي بالغرب الإسلامي، فمثلا مصطلح البادية، وهو مجال البدو الرحل وشبه الرحل الخاضعين إلى حدّ ما إلى السلطة المركزية، لا يشمل القرى في حين أنها مكون أساسي من مكونات الريف monde rural حسب المصطلح الفرنسي. كما أن مصطلح القرية في حدّ ذاته يطرح عدّة تساؤلات في علاقة بالمفهوم والوظيفة ومعايير التصنيف.

هذا وتصعب دراسة الأرياف وآثارها بسبب نقص المادّة في المصادر المكتوبة أو جرّاء عوائق العمل الميداني وما يستوجبه من إمكانيّات ماديّة وبشريّة ضخمة. يضاف إلى ذلك تركيز أغلب الدراسات التاريخيّة والأثريّة على المدن في حدّ ذاتها على حساب الأرياف، رغم علاقة الترابط والتكامل بين المجالين. وينطبق هذا الوضع خاصة على بلاد المغرب حيث تُبرز البحوث الخاصّة بكلّ الحقب في مجال الآثار الريفيّة بونا شاسعا مقارنة بتلك التي شرع فيها منذ زمن ببلدان الضفّة الشماليّة للمتوسط وخاصة فرنسا وإسبانيا.

ومن هذا المنطلق، يعدّ تناول موضوع هذه الندوة رهانا حقيقيا يرمي إلى محاولة تجديد مقاربات البحث التاريخي والأثري في الضفّتين الشماليّة والجنوبيّة للمتوسط، والنظر في سبل تطويرها، ويحتاج بذلك إلى بحوث دقيقة

تتقاطع فيها المعطيات النصيّة والأثريّة والأنثروبولوجيّة. كما تتطلب معالجة جملة المسائل المرتبطة بهذا الموضوع مقارنات بين الحقب التاريخيّة والمجالات الجغرافيّة، ساحليّة كانت أو داخليّة، سهليّة أو جبليّة، لرصد الثوابت والمتغيّرات والمستجدّات. وبديهي القول إن ذلك لن يتسنى دون أخذ الأعمال السابقة بعين الاعتبار ومحاولة تطويرها وفق مقاربات تاريخيّة وأثريّة وإثنوأثريّة جديدة. تلك هي تقريبا الأرضية التي انطلق منها التفكير في موضوع هذه الندوة العلمية الدولية وأهدافها.

يحتوي هذا الكتاب على اثنتين وعشرين مداخلة (ستّ مداخلات باللغة العربية وثمان عشرة باللغة الفرنسيّة) تناولت عدة قضايا في علاقة بالمجال الريفي عموما وبالقيروان وناحيتها خصوصا، وشملت كافة المجالات الريفية وأغلب الحقب التاريخية، وذلك باعتماد مصادر متنوعة ومقاربات جديدة مكنت من الخروج باستنتاجات وفتحت آفاقا مستقبلية للبحث.

في المحور الأوّل المتعلّق بالموضوع الأساسي للندوة «**الأرياف والآثار الريفية**» قدمت جينيت أوماسيب، المتخصصة البارزة في آثار ما قبل التاريخ في المجالات الصحراوية، من خلال أمثلة مختلفة لمواقع أثرية تعود إلى العصر الحجري الحديث، فكرة عن نمط عيش الإنسان خلال عصور ما قبل التاريخ وبالتالي إعادة النظر في المعادلة الكلاسيكية «البداوة = العصر الحجري القديم، الاستقرار = العصر الحجري الحديث».

وكانـت فـترة فجـر التاريـخ ببـلاد المغـرب موضوعـا لبحـث قدّمـه عزيـز طـارق سـاحد تنـاول فيـه مختلـف المشـاكل المنهجيـة والكرنولوجيـة والمعرفيـة التـي تطرحهـا هـذه الفـترة وضرورة أخـذ أصنـاف أخـرى مـن الشـواهد الأثريّـة في الاعتبـار ، إلى جانـب المعـالم الجنائزيّـة، وتحديـدا المعـالم السـكنيّة الريفيّـة، والزراعـة والمخلفـات الفنيـة المتأخـرة. ويشـير الباحـث إلى تعـدد المـؤشرات التـي يمكـن أن تمثـل للآثـاري مفاتيـح للبحـث في خصوصيّـات التاريـخ الاجتماعـي والاقتصـادي والثقـافي لفـترة عصـور فجـر التاريـخ (في بـلاد المغـرب بشـكل خـاص) والتـي لا تـزال في حاجـة إلى تعميـق البحـث حولهـا وإعـادة النظـر في عديـد مـن مسـتوياتها المعرفيـة والمنهجيـة.

هـذا المؤتمـر أتـاح أيضـا للمختصـين في العصـور الكلاسـيكية تقديـم جملـة مـن المقاربـات التـي تتعلـق خاصـة بوثائـق أثريـة ونقائشـيّة تهـم الفـترة الرومانيّـة. فمـن خـلال اعتمادهـا عـلى وثائـق منشـورة قدمـت نجـاة براهمـي قـراءة جديـدة لبعـض جوانـب الحيـاة الدينيّـة في مدينـة وليلـة (Volubilis) عـلى التخـوم الجنوبيـة للإمبراطوريّـة الرومانيّـة.

وتناولـت الورقـة العلميـة التـي قدمهـا لطفـي النـدّاري ومحمـد بـن نجمـة ملـف المعـالم الجنائزيّـة في غـرب البـلاد مـن خـلال أحـد الأضرحـة بــ : «قـصر القُنّـارة» بنواحـي تالـة، ويبـيّن هـذا المثـال أهميـة اسـتقرار الأعيـان بالأريـاف في العـصر الرومـاني.

كـما اهتـم ثلّـة مـن المسـاهمين في هـذا الكتـاب بتقديـم بعـض المواقـع الأثريّـة الريفيّـة مثـل بحـث بختـة موقراينتـا المسـتمد أساسـا مـن المؤلفـات المنشـورة حـول موقـع تيجيـت (Ala Miliaria)، وهـو معسـكر

مـن الفـترة الســويريّة، وقـد حاولـت فيـه تقديـم معطيـات حـول تاريـخ البحـث في هـذه المنطقـة المنسـية في غـربي ولايـة موريتانيـا التـي تعـاني حاليـا مـن خطـر الاندثـار. وهــي تسـخّر جهدهـا مـن أجـل حمايـة هـذا الموقـع الهـام وتصنيفـه.

أمّـا النـص الثـاني فهـو لأنيـس الحجـلاوي الـذي يشـتغل عـلى آثـار منطقـة سـيدي بوزيـد بوسـط البـلاد التونسـيّة. ويقـدم في هـذه النـدوة نتائـج البحـث الميـداني الـذي قـام بـه حـول موقـع «هنشـير بـن شريفـة». حيـث كشـفت الحفريّـات عـن آثـار بنايـة ولوحـات فسيفسـائيّة تـبرز فيهـا الآلهـة فينـوس.

وفي بـاب الجوانـب التقنيـة ودراسـة اللّقـى الأثريـة، يحتـوي هـذا المُؤلّـف عـلى عملـين. يتعلـق الأول وهـو لجـون بيـار لابـورت بالتقنيّـات الهيدروليكيـة المسـتعملة في صنـف خـاص جـدّا مـن المطاحـن القديمـة، والتـي يسـتمرّ اسـتعمالها حتـى اليـوم في المناطـق الجبليّـة البربريّـة. ويؤكـد المؤلّـف عـلى قِـدم هـذ الجهـاز واسـتمراره ويوضـح ذلـك بواسـطة أمثلـة مـن مطاحـن هيدروليكيـة بـبلاد المغـرب تعـود إلى العصريـن القديـم والوسـيط.

والعمـل الثـاني قدّمـه الباحثـان فـوزي عبـد الـلاوي ومنـذر براهمـي ويتعلـق بموقـع «هنشـير الصمعـة» الـذي يعـود إلى العـصر القديـم المتأخـر بجهـة قفصـة جنـوب غـربي مقاطعـة البيزاكيـوم، وهـو عبـارة عـن مجموعـة مـن معـاصر الزيتـون تقـدّم لنـا تقنيـة جديـدة لعمليـة العـصر.

وأخـيرا قـدّم نجيـب بـالأزرق بحثـا تأليفيـا مطـوّلا حـول زخرفـة الوجـه في السـجل الأيقـوني الـذي يعـود إلى الفـترة الرومانيـة بالبـلاد التونسـيّة، وبـيّن خصوصياتـه وروافـده.

استأثر العمران الوسيط والحديث بدورهما بنصيب من الدراسات التي تميزت في أغلبها بالجدّة والطرافة، حيث أخذنا النوري بوخشيم إلى جبلي مطماطة ودمّر ليعرّفنا خصائص السجل الزخرفي المعماري موضحا طابعه المحلّي وارتباطه بهويّة المجموعات القبليّة البربرية التي استوطنت بالمنطقة منذ القديم. فهذه الزخارف تستمد جذورها من الفنون الجدارية لإنسان عصور ما قبل التاريخ وتمتد إلى صنوف الإنتاجات الاثنوغرافية للسكان الحاليين،دون أن ينفي ذلك وجود تأثيرات أجنبية بحكم الموقع والعلاقات مع المناطق المجاورة،وهو ما يبرز قيمة العمل الميداني في دراسة المجالات الريفية الجبلية، فضلا عن النصوص والنقائش ووثائق الأرشيف والمعالم كما ستوضحه المداخلة الموالية.

فمن جنوب البلاد التونسية إلى شمالها، كانت قضية تحوّز المجال واستغلاله محور صراع بين السلطة المركزية والقبائل البدوية والمستقرة خاصة منذ الحقبة الموحدية-الحفصية.وقد سعت السلطة المركزية إلى البحث عن آليات جديدة لفرض حضورها بدواخل البلاد، فكانت سياسة التحالف مع القبائل العربية أو البربرية مقابل الإقطاعات وتغذية الصراع بينهما من أجل إضعافها حتى تسهل السيطرة عليها، وهو ما أفرز أشكال تعمير وطرق استغلال جديدة.

فقد استفادت من هذه السياسة مثلا قبيلة هوّارة التي تطورت من قبيلة وافدة إلى قبيلة محاربة ثم إلى قبيلة تسود كامل المجال التلي على حساب الأسياد القدامى وهم بنو كلاع إلى الحدّ الذي استبدل فيه مصطلح كورة أو عمل الأربس بمصطلح وطن هوّارة. لكن ساعد اضمحلال قبيلة هوّارة والانتقال من عمل الأربس إلى وطن الكاف الأسياد القدامى على استعادة نفوذهم على وطن الكاف واحتكار السلطة وبسط النفوذ،كما وضح ذلك مراد عرعار وحياة علوي من خلال تناول قضية تحوّز المجال وصناعة السلطة.

كما مثلت المخطوطات رافدا هامّا من روافد دراسة عالم الأرياف. فقد بيّن أحمد الباهي أهمية مخطوط نسمة الآس في حجّة سيدنا أبي العباس وتحديدا القسم الخاص بجنوب الايالة التونسية لما يقدّمه من تنوّع أسماء الأماكن والمسالك وازدهار العمارة والعمران خلال القرن الحادي عشر هجريّا / السابع عشر ميلاديّا على طريق الحج بين بسكرة وطرابلس، وهو ما يدعو إلى مزيد الانكباب على تحقيق المخطوطات ودراستها.

ومن الزوايا الريفية والقرى الجبلية المحصّنة والصحراء ومسالكها، إلى عالم الأموات والمقابر. فقد أجمعت بعض المصادر على أن مقبرة الزيريين كائنة بالمنستير، وساهمت إعادة تركيب لطفي عبد الجواد لمجموعة من القطع المرمرية المحفوظة بمخازن رباط المنستير في الكشف عن كونها شاهد قبر على شكل سيف لباديس بن المنصور، وهو ما يدعم معطيات النصوص ويسلّط أضواء جديدة على تاريخ الزيريين.

ولم يخرج هذا الملتقى عن عادة الملتقيات السابقة، فقد كان **للقيروان وناحيتها** نصيب من الاهتمام من خلال جملة من البحوث الميدانية والمصدرية. بخصوص عصور ما قبل التاريخ فاهتم جعفر بن نصر (في مداخلة باللغة الفرنسيّة) بدراسة مغارة المنجم بباطن جبل السرج. فبالإضافة إلى أهميّة محتوياتها الجيولوجيّة يلفت الباحث الانتباه إلى آثار توطّن إنسان ما قبل التاريخ بها وينبّه إلى ضرورة حماية هذه المغارة والدعوة إلى دراستها بشكل مستفيض لما يمكن أن تقدمه من معطيات أثريّة هامة حول استيطان جبل السّرج خلال العصر الحجري الحديث.

وفي إطار تجديد الاهتمام بالجغرافيا التاريخية لمجال القيروان خلال العصور القديمة يعود الأستاذ أحمد مشارك ليطرح من جديد مسألة حدود مجال قمونية وجمونس في ردّ واضح على بعض ما كُتب مؤخّرا وليؤكّد جملة من الاستنتاجات التي قدمها سابقا وليوضح بعض المسائل المنهجيّة في التعامل مع أدوات البحث في الطبونوميا والجغرافيا التاريخية.

وفي الفترة الوسيطة لم تشتهر المدرسة القيروانية في مجال العمارة والطب فحسب، بل أيضا في مجال الخط. وهذا ما حاول مراد الرماح إبرازه من خلال دراسة مخطوطات فريدة لبعض المصاحف حيث بيّن لنا كيفية التحوّل من الخط الكوفي إلى الخط المغربي الذي ميّز المدرسة القيروانية.

ومن خلال حفرية فرن لصناعة الآجر بجوار قصر الصحن برقادة، أمكن لكريستوف فاشالد وبقية فريق الحفرية تأريخ الآجر المستعمل في بناء القصر وخاصة دراسة بقايا الخشب الذي وقع العثور عليه بالفرن ومن ثمّ محاولة إعادة تركيب المشهد الطبيعي المحيط برقادة قبل بناء القصر.

وحول مراحل تطور جامع القيروان، يطرح نص البكري عديد التساؤلات التي يبدو أنها بدأت تتوضح نسبيا من خلال ما قدّمه طه الخشين وسندس قراقب. فقد مكّنتهما الاستعانة بنتائج حفرية لإبراهيم شبوح وأسبار من تقديم تفسير للترفيع في مستوى جامع القيروان الذي شُيّد أول الأمر في أسفل محدّب قليل الارتفاع وكان بذلك عرضة للمياه ممّا استوجب الترفيع في مستواه. كما بينت شظايا الخزف الإسلامي التي تمّ العثور عليها مختلف مراحل تعمير الأماكن المحيطة بالجامع.

ومن مركز المدينة التقليدي إلى أسوارها التي ظلت تطرح تساؤلات عديدة استدعت رغم المقاربات السابقة إعادة التفكير في تأريخها وامتدادها وهدمها وإعادة بنائها خلال الحقبة الوسيطة الكلاسيكية. فقد أعاد فتحي البحري التساؤل عن بداية تحصين مدينة القيروان وخاصة عمّا نسب لزيادة الله من هدم أسوار القيروان والتي يجب انتظار المعز بن باديس لإعادة تحصينها. وفضلا عن القول بأن تحصينها سبق محمد بن الأشعث الخزاعي، يصعب في نظره من خلال نص ابن ناجي وبقايا ما يُحتمل أنه السور على طريق سوسة ووادي المالح وخاصة الخزف، التسليم بفكرة الهدم.

ومن القضايا الأخرى التي شدّت الاهتمام قضية السكن الريفي، فقد ظهرت لدى الأعيان منذ العهد الحفصي النزعة إلى الخروج من المدينة على الأقل في فصل الصيف للإقامة في أبراج بأحوازها وعلى مقربة من أراضيهم الزراعية، وهو ما كشفت عنه مداخلة معز الدريدي من خلال دراسته لعقد شراء برج بأحواز القيروان على حافة وادي زرود، قدّم لنا فضلا عن الجوانب القانونية لعملية البيع والشراء، معطيات هامّة عن العناصر المعمارية المكونة للبرج، فكانت الوثيقة بذلك ذات أهمية تاريخية وأثرية بالغة.

ومن الأبراج التي أفادتنا حولها العقود ووثائق الأرشيف، كان للمسح الأثري والعودة إلى المصادر المطبوعة ووثائق الأرشيف دور في التعريف بمكونات قرية العرمة بجبل وسلات كشكل من أشكال السكن الريفي بناحية القيروان له خصوصيّاته التي يستمدّها من ثقافة أهل الجبل ومن البيئة التي تفاعلوا معها فأنتجوا أشكالا متميّزة من السكن. فقد حاول جهاد الصويد تأريخ نشأة هذه القرية واندثارها والتعرف إلى القبائل التي توطّنت بها.

ونظرا لأهمية الماء في تعمير المجالات الريفية، تولى الأمجد الدريدي دراسة منشأة مائية ببريكات العرقوب بدت مميّزة من حيث تقنية بنائها ومصادر التزوّد والتصريف والاستغلال، وحاول تأريخها انطلاقا من تقنيات البناء مبرزا بذلك ظاهرة تواصل التعمير عبر العصور.

وعموما مكّنت أشغال هذا الملتقى من الوقوف أوّلا على بعض البحوث المنجزة ومن تقديم قراءات جديدة في بعض المسائل، وفتحت مسارات عديدة للبحث حول ذات الموضوع، ومهّدت للخوض في إشكاليات أخرى لا سيما مبحث المدن والآثار الحضرية الذي سوف يكون موضوع الندوة المقبلة: القيروان 7.

**مراد عرعار والنوري بوخشيم**

# جنوب الإيالة التونسية في رحلة القادري الموسومة بنسمة الآس في حجّة سيدنا أبي العباس (1100-1101 هـ/ 1689-1690 م)

**أحمد الباهي**

( جامعة القيروان، كليّة الآداب والعلوم الانسانيّة بالقيروان، قسم علم الاثار –
وحدة البحث : الجبال والسهول ببلاد المغرب UR16ES01 )

**ملخص**

تهتم هذه الورقة بتحقيق القسم الخاص بجنوب الإيالة التونسية في رحلة مغربية مخطوطة، ألّفها أحمد القادري بهدف توثيق حجّية شيخه ابن معن الأندلسي سنة 1100 هـ/ 1689 م، والموسومة بنسمة الآس في حجّة سيدنا أبي العباس. يُوفر هذا النص الذي يهم القسم الرابط بين بسكرة وطرابلس، ذهابا وإيابا، معطيات فريدة عن أسماء الأماكن ومسلك الركب ومحطاته، وعن العمارة والعمران بالمدن والقرى والبوادي التي عاينها المؤلف.

**الكلمات المفاتيح :** مخطوط، القادري، نسمة الآس، رحلة، طريق الحج، إيالة تونس، الجريد.

**Résumé**

Il s'agit d'une édition critique partielle d'un récit de voyage maghrébin encore manuscrit, intitulé : *Nismat al Âs fî hajjit sayyidunâ Abîal-'Abbâs,* dans lequel son auteur, Ahmad al-Qâdirî, décrit les étapes du pèlerinage de son maître *Ibn Ma'an al-Andalusî* en 1100 H./1690 Ap. J-C. Ce texte qui concerne la section Biskra – Tripoli, aller et retour, fournit un témoignage oculaire et original sur la toponymie, l'itinéraire de la caravane, l'urbanisme et l'architecture des villes, villages et campagnes, visités par l'auteur.

**Mots-clés :** Manuscrit - Al-Qâdirî - Nismat al-Âs – Voyage – Pèlerinage - Régence de Tunis – Djérid.

عاشت السواحل المغربية انطلاقا من القرن 10 هـ/ 16 م، اضطرابات أمنية نتيجة الصراع العثماني الإسباني للسيطرة على مضيق صقلية وبدايات القرصنة، فتخلّى ركب الحج المغربي عن الطريق الساحلية، وأخذ في اِتّباع مسالك صحراوية، لعل أهمها ذلك المسلك الذي يخترق بلاد الجريد، مرورا ببسكرة وتوزر، للوصول إلى قابس فطرابلس. وقد تولّى بعض الأدباء والفقهاء تخليد حَجيّتهم بتدوينها؛ وما بقي منها اليوم يتجاوز الثلاثين رحلة ما بين مخطوط ومنشور ومُحقّق، مع تباين واضح في جودة التحقيق[1]. إلا أننا نلاحظ عدم استغلال هذه الرحلات بالقدر الكافي في كتابة تاريخ جنوب الإيالة التونسية خلال العصر الحديث[2].

تهدف هذه الورقة إلى التعريف بإحدى الرحلات الحجيّة المخطوطة، وهي الرحلة التي ألّفها الأديب والعالم أبو العباس أحمد بن عبد القادر القادري بهدف توثيق رحلة شيخه الصوفي أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله معن الأندلسي، لأداء فريضة الحج سنة 1100 هـ/ 1689 م، التي وسمها بنسمة الآس في حجّة سيدنا أبي العباس، وذلك بتحقيق ونشر القسم الخاص بجنوب الإيالة التونسية، وبالضبط المسلك الرابط بين بسكرة وطرابلس ذهابا وإيابا.

## 1- من هو مؤلف الرحلة ؟

ينتمي أبو العباس أحمد بن عبد القادر بن علي بن محمد القادري الحسني[3] إلى عائلة فاسية معروفة بالعلم والفقه. ولد بفاس سنة 1150 هـ/ 1133 م، فتلقى العلم على يد أكابر علماء عصره كعبد القادر الفاسي والحسن اليوسي. انضم إلى الزاوية الدلائية وهي في أوجها، حيث تلقّى العلم على يد مشايخها وأتقن فنون الفروسية والقتال وصاهر أحد شيوخها. بعد هزيمة الدلائيين سنة 1079 هـ/ 1669 م، على يد مولاي الرشيد، خرج القادري من الزاوية ليسكن فاس ويشتغل بالتجارة. وفي سنة 1083 هـ/ 1673 م، سافر للحج، وفي طريق عودته توقّف بالقاهرة واستقر بها سبع سنين، حيث تعمق في دراسة الفقه على يد فطاحل علمائها مثل علي الأجهوري والزرقاني والخرشي، كما ارتبط هناك بحلقات التصوف القادري. وفي سنة 1090 هـ/ 1679 م، رجع إلى المغرب وشارك في الجهاد بثغوره، ثم لزم مسجد زاوية شيخه ابن معن بعدوة الأندلس بفاس، واتبع سلوك المتصوفين.

---

1 خصصنا حيزا من مقدمة تحقيقنا لرحلة اليوسي لاستعراض ما نشر من هذه الرحلات. انظر: مَحمد العياشي بن الحسن اليوسي، **رحلة اليوسي (1101 هـ/ 1690 م)**، قيد النشر.

2 انظر مثالا لاستغلال رحلة العياشي في التأريخ لزاوية سيدي قناو في : بوخشيم (النوري)، «زاوية محطّة في ملتقى الطرق القوافليّة بين قابس ونفزاوة»، في عبد اللطيف مرابط (نشر)، **شبكة الطرقات والمسالك ببلاد المغرب القديم والوسيط. أعمال النّدوة الدوليّة الثانية (سوسة 06، 07 و08 أفريل 2015)**، سوسة، 2016، ص 39-72.

3 انظر ترجمته في : القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، الرباط، 1977-1986، ج 3، ص 247-251 ؛ نفسه، **كتاب التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر**، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، بيروت، 1983، ص 319-320 ؛ نفسه، **الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج**، تحقيق مارية دادي، الرباط، 2009، ص 185-186 ؛ الحُضَيْكي، **طبقات الحُضَيْكي**، تحقيق أحمد بومزكو، الدار البيضاء، 2006، ج 1، ص 142 ؛ مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تحقيق عبد المجيد خيالي، بيروت، 2003، ج 1، ص 480. وراجع أيضا : ليفي بروفنسال (إيفارست)، **مؤرخو الشرفاء**، تعريب عبد القادر الخلادي، الرباط، 1977، ص 209 ؛ الزركلي (خير الدين)، **الأعلام**، بيروت، 1982، ج 1، ص 153-154 ؛ حجي (محمد)، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، الدار البيضاء، 1988، ص 133-135 ؛ كحالة (عمر رضا)، **معجم المؤلفين**، بيروت، 1993، ج 1، ص 174.

في سنة 1100 هـ/ 1689 م، قرر شيخه الصوفي أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله معن الأندلسي الفاسي[4] الحج، فشاركه القادري الذي وثّق هذه الحجية بعد عودتهما. والجدير بالذكر أن ركب الحج لتلك السنة كان يضم أحد أبناء مولاي إسماعيل المسمى بالمعتصم. في سنة 1133 هـ/ 1720 م، توفي أبو العباس ودفن خارج باب الفتوح بفاس. وقد ترك القادري بعض المؤلفات لعل أهمها تدوينه لرحلة شيخه.

## 2– الرحلة

تناولت عديد الدراسات هذه الرحلة مبرزة أهميتها التاريخية والأدبية[5]. كما وقع تحقيق القسم الخاص بالتراب الليبي منها[6]. والرحلة رصد لحركة ابن معن وفي الآن نفسه وصف لطريق الحج ومناسكه مع ايراد أخبار عن العلماء الذين تم الالتقاء بهم، وذلك بأسلوب لا يختلف عن غيرها من الرحلات في ذلك الزمن من مزج بين النثر الشعر. وقد تميز القادري في تأليفه بضبطه الدقيق لمحطات الرحلة وتواريخ المرور بها.

كان خروج الركب من فاس يوم الجمعة 24 جمادى الآخرة 1100 هـ/ 14 أفريل 1689 م، وعاد إليها يوم الجمعة 6 ذي القعدة 1101 هـ/ 10 أوت 1690 م. والقسم الذي نحققه من هذه الرحلة يربط بين بسكرة وطرابلس ذهابا وإيابا. خرج الركب من بسكرة يوم الثلاثاء 27 رجب 1100 هـ/ 16 ماي 1689 م، ووصل إلى طرابلس يوم الأحد 17 شعبان 1100 هـ/ 5 جوان 1689 م. أما إيابا، فكان الخروج من طرابلس يوم الأحد 10 رمضان 1101 هـ/ 16 جوان 1690 م، والوصول إلى بسكرة يوم الأحد 2 شوال 1101 هـ/ 8 جويلية 1690 م، أي أنه تم قطع المسافة بين المدينتين في ثلاث أسابيع ذهابا ومثلها إيابا، وذلك خلال فصل الصيف الحار.

4 أحد كبار مشايخ الصوفية بفاس، توفي سنة 1120 هـ/ 1708 م. انظر ترجمته في : القادري، **المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد**، فاس، 1351 هـ ؛ الولالي، **مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار**، تحقيق عبد العزيز بوعصّاب، الرباط، 1999، ص 292-296 ؛ الإفراني، **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، تحقيق عبد المجيد خيالي، 2004، ص 362-363 ؛ نفسه، **روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل الشريف**، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، 1995، ص 24 ؛ القادري، **نشر المثاني**، ن. م.، ج 3، ص 182-192 ؛ نفسه، **التقاط الدرر**، ن. م.، ص 300-301 ؛ نفسه، **الإكليل**، ص 180-182 ؛ الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصالحين بفاس**، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، الدار البيضاء، 2004، ج 2، ص 235-329.

5 راجع : المنوني (محمد)، **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث**، الجزء الأول، الرباط، 1983، ص 189 ؛ بن سودة (عبد السلام بن عبد القادر)، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، بيروت، 1997، ص 252 ؛ التازي (عبد الهادي)، **أمير مغربي في طرابلس 1143 هـ = 1731 م أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي**، الرباط، د. ت.، ص 37 ؛ نفسه، «ليبيا لدى الرحالة المغاربة»، في **مجلة المجمع العلمي العراقي**، المجلد 19، 1970، ص 131-140، انظر ص 135 ؛ نفسه، **رحلة الرحلات. مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة**، لندن، 2005، ج 1، ص 265-276 ؛ بنعبدالله (عبد العزيز)، **الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ**، الرباط، 2001 ، ص 53 ؛ منصور (علي مفتاح إبراهيم)، **الرحالة العرب ودورهم في كتابة تاريخ ليبيا السياسي والاقتصادي في القرنين السابع عشر والثامن عشر**، طرابلس، 2005، ص 61-62 ؛ نواب (عواطف محمد يوسف)، **كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين دراسة تحليلية نقدية مقارنة**، الرياض، 2008، ص 66-71 ؛ ماكامان (محمد)، **الرحلات المغربية (ق. 11-12 هـ/ 17-18 م)**، الرباط، 2014، ص 224-225 ؛ الحمد (محمد بن سعود بن عبد الله)، **موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة معجم بيبليوجرافي**، القاهرة، 2007، ص 442.

6 القادري، **نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس**، نشر محمد الحراري عبدالسلام الجزء الخاص بليبيا في : **ليبيا لدى الرحالة المغاربة في القرنين السادس عشر والسابع عشر**، طرابلس، 1998.

تميّز هذا القسم بوصف دقيق لمسلك الركب وضبط أسماء الأماكن التي مرّ بها، كما يضمّ هذا القسم فوائد طوبونيمية وتاريخية واثنوغرافية مهمة عن جنوب الإيالة التونسية[7]، لا نجد لها مثيلا في ما نعرفه من كتب الرحلات المغربية، وأشرنا إليها في مواضعها من التحقيق. ويظهر من خلال شهادة القادري أن ركب الحج لم يواجه عراقيل في طريقه بمجال الإيالة التونسية، وهذا تأكيد لما ذكره الأخباريون التونسيون من أن الطرقات أصبحت في عهد محمد باي المرادي آمنة وكذلك أركاب الحجيج، وذلك مباشرة بعد انتهاء الفتنة المرادية سنة 1097 هـ/ 1686 م[8].

### 3- مخطوطات الرحلة

لنسمة الآس ثلاث مخطوطات معروفة، أحدها نسخة المكتبة الوطنية المغربية (الخزانة العامة بالرباط سابقا) رقم 3216 ك. وهي نسخة ناقصة في 8 ورقات، لا تشتمل إلا على بداية الرحلة إلى حدود عوينت بني مطهر، الواقعة حاليا بالتراب المغربي قرب الحدود الجزائرية، وعليه فهي لا تهمنا في هذا العمل. أما النسختان الباقيتان فهما :

- نسخة الخزانة الحسنية بالرباط رقم 8787، وهي نسخة كاملة في 80 ورقة[9] (خط مغربي، المقاس 18 صم * 12 صم، المسطرة 17، الحبر أسود مع تدوين بعض الكلمات بالأحمر، التعقيبة موجودة، الحاشية بها إكمال سقط وتصحيحات وتعاليق، اسم الناسخ وتاريخ النسخ غير مذكورين، حالة المخطوط : جيدة بالنسبة للقسم الذي يهمنا لكن به خروم في الورقة الأولى والورقات الأخيرة). أشرنا إليها بالحرف أ.
- نسخة المكتبة الوطنية المغربية (الخزانة العامة بالرباط سابقا)، وهي الجزء العاشر ضمن مجموع رقم 1418 ك، ورقة 106 و – 158 و، أصلها من الخزانة الكتانية (خط مغربي، المقاس 21 صم* 15 صم، المسطرة 23، الحبر أسود مع تدوين بعض الكلمات بالأحمر والأزرق، التعقيبة موجودة، الحاشية بها إكمال سقط وتصحيحات وتعاليق، اسم الناسخ وتاريخ النسخ غير مذكورين، حالة المخطوط جيدة). وهي نسخة شبه كاملة لأن مقارنتها بالنسخة أ تُثبت أن الناسخ أسقط الكثير من الكلمات. وقد أشرنا إليها بالحرف ب.

لتحقيق النص الآتي، اتخذنا النسخة أ كأصل لكونها نسخة كاملة، فأخطاؤها قليلة مقارنة مع النسخة ب التي تشكو من سقط كثير وأخطاء عديدة في النسخ. قمنا بإخراج النص وفقا للقواعد الإملائية المعاصرة من حيث رسم الهمزة ووضع الفواصل والنقاط والمطات. ولم نشأ إثقال الهوامش بالإحالة على مواضع الأماكن في النصوص المصدرية خاصة منها بقية كتب

7 يصعب ضبط الحدود الجنوبية للإيالة التونسية زمن الرحلة، فبسكرة كانت من عمالة الجزائر، أما مجال الإيالة الطرابلسية فكان يمتد غربا إلى زوارة.

8 الوزير السراج، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، بيروت، 1984، ج 2، ص 546.

9 عمور (عمر)، **كشاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنية**، الرباط، 2007، ص 455. ويوجد بالخزانة نفسها أجزاء من الرحلة تحت أرقام 13737 و13778 لم نتمكن من الاطلاع عليها.

رحلات الحج، واكتفينا بضبط مواقعها الجغرافية والإحالة على رحلتي العياشي والناصري مع بعض الاستثناءات.

## النص المُحقق من الرحلة

### أ- رحلة الذهاب

« ثمّ رحلنا عنها[10] صبيحة يوم الثلاثاء[11]، ومررنا بقرية ذات نخل كثير تُسمّى المَسِيد[12]، وبها ضريح سيدنا عُقبة بن نافع الفهري التابعي فاتح إفريقية، فذهب سيدنا أحمد[13] لزيارته، وذهبنا معه في جماعة من الأصحاب. فدَخل[14] القرية المذكورة، وأتى مسجدها الذي هو به، ففُتح له، ودخلنا فركع وركع مَن ركع منّا معه، ثم جلس عند ضريحه – رضي الله عنه – أمام وجهه ساعة، والأصحاب حافّون به كأنّ على رؤوسهم الطير، يَدْعون الله[15] سرّا ويتضرّعون، وكسا الحاضرون حُسنا وجمالا وبهاءً وجلالا، ثم رفع يَدَيْه إلى الفاتحة فقرأناها معه. ولمّا فرغ[16] منها دَنَى من الضريح، وأزال [10 و] عِمامته ووضعها على ضريحه، ووضع جماعة من الأصحاب عَمائمهم كذلك[17]، بارك الله عليه[18] وعليهم.

ثم ذهبنا إلى الركب فائزين، ولكل فضل حائزين. وسرنا طول يومنا إلى أن نزلنا عشيّة بموضع يُعرف بالمنصِف[19] قرب وادي الناموس[20].

ومن الغد وصلنا إلى القرية المعروفة بزَريبَة الوادي[21] عند العصر، فنزلنا بها، وهي قرية صغيرة على ضفّة نهر، مائه لا بأس به، فيها نخل قليل.

ثم من الغد بتنا على غير ماء قرب النّفَيْضَة[22] ويقال الفَيْضَة.

---

10 أي مدينة بسكرة.

11 يوم الثلاثاء 27 رجب 1100 هـ/ 16 ماي 1689 م.

12 المقصود هو قرية سيدي عقبة الحالية، وينفرد القادري بتسميتها بالمسيد الذي يظهر أنه تصغير مسجد. تقع القرية مسافة 16 كم جنوب شرق بسكرة. انظر: العياشي، **الرحلة العياشية : ماء الموائد**، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، أبو ظبي، 2006، ج 2، ص 539 ؛ الناصري، **الرحلة الناصرية**، حققها عبد الحفيظ ملوكي المغربي، أبو ظبي، 2011، ص 146، 711.

13 سقطت في ب.

14 في ب : فدخلنا.

15 في ب : له.

16 في ب : قرب.

17 وضع العمائم على الأضرحة، ظاهرة صوفية تردّدت في بلاد المغرب خلال العصر الحديث.

18 في ب : علينا.

19 يتوسط وادي المنصف حاليا المسافة بين سيدي عقبة وزريبة الوادي. انظر : العياشي، **ن. م.**، ج 2، ص 538 ؛ الناصري، **ن. م.**، ص 158، 710.

20 وادي بن ناموس حاليا شرق وادي المنصف. وقد مرّ به الحضيكي في رحلته. انظر: الحضيكي، **الرحلة الحجازية**، تحقيق عبد العالي لمدبر، الرباط، 2011، ص 86.

21 ما زالت تُعرف بالاسم ذاته، وهي تقع مسافة 56 كم شرق سيدي عقبة. انظر : العياشي، **ن. م.**، ج 2، ص 538 ؛ الناصري، **ن. م.**، ص 159، 709.

22 تُعرف حاليا بنفيضة سيدي عبد الله، وهي منطقة تتوسط المسافة بين زريبة الوادي ونقرين. وقد مرّ بها الشرقي في رحلته، انظر : الشرقي، **الرحلة الحجازية**، بتحقيق نورد الدين شوبد، أبو ظبي، 2013، ص 234، 570.

ثـم سرنا مـن غـد ذلـك اليـوم، وهـو يـوم الجمعـة وأول يـوم مـن شـعبان[23]، فبلغنـا بعـد الغـروب وادي غَيْسَـران[24] على وزن زعفـران، ومـاؤه ليـس بعـذب بـل مُـرّ، وبالقـرب منـه بـاب مدينـةٍ كانـت هنالـك، تهـدّم سـورها وبقـي البـابُ ماثـلا[25]، يُدعـى بـابَ إفريقيـة[26].

ومن غده سرنا، فنزلنا عشيّة على نهر تامَغْزة[27]، وبه ماء قليل لا بأس به، وهو قرب الشُبَيْكَة[28].

ثـم مـن الغـد بعـد العصـر، وصلنـا حَامَّـة تـوزرت[29] فبتنـا بهـا، وهـي عـين حـارّة، بـل عيـون كثيـرة بقريـة[30] كبيـرة، [ 10 ظ ] كثيـرة النخل.

ومـن الغـد بكـرة عنـد ارتفـاع النهـار، نزلنـا تُـوزَرت[31] فبتنـا بهـا، وهـي مدينـة صغيـرة، حفّـت بهـا أجنّـة كثيـرة، ذات نخـل غزيـر مُنتشـر، ومـاء عـذب مُنهمـر، فـي موضـع مُريـح، ومـكان فَسـيح، وهـي مـن عَمَـل تُونـس.

ومـن الغـد سـرنا، ثـم مررنـا علـى قـرى شـتى واحـدة بعـد واحـدة ذوات نخـل وأجنّـة ومـاء، إلـى أن أتينـا زاويـة سـيدي أبـي هـلال[32]، فنزلناهـا قـرب الـزوال وبتنـا بهـا.

ثـم مـن الغـد قَطعنـا سَـبخة مـن الملـح[33]، بيضـاء، واسـعة الفَضـاء، فلـم يكـن لنـا منـزل إلـى أن وصلنـا بعـد الظهـر زاويـة الرمـل[34]، قريـة ذات نخـل، وبهـا مـاء طيـب وآخـر أُجَـاج، وبهـا زاويـة للحُجّـاج، فبتنـا بهـا.

ورحلنـا مـن الغـد منهـا، ومررنـا بعمـارة ونخـل تُسـمّى قُصَيـر الرمّـان[35]، مُصغّـر قَصْـر علـى لُغـة العامّـة، فصلّينـا عنـده الظهـر، وهـبّ علينـا حينئـذ[36] ريـح حـارّة إلـى آخـر النهـار.

---

23 يوم الجمعة 1 شعبان 1100 هـ/20 ماي 1689 م.

24 يمر وادي غيسران حاليا مسافة 6 كم جنوب مدينة نقرين. انظر: الناصري، **ن. م.**، ص 159، 707.

25 سقطت من أ.

26 اندثر هذا الاسم الآن، ويظهر أن المقصود به هو الحصن العسكري لمدينة بسرياني القديمة الواقع مسافة 5 كم جنوب نقرين.

27 وهي تسمية أخرى لوادي الخنقة الذي يجري مسافة 5 كم شمال شرق الشبيكة.

28 مـا زالـت تعرف بالاسـم نفسـه، وهـي واحـة جبلية تقـع مسـافة 50 كـم شـمال غـرب تـوزر. انظـر : الناصـري، **ن. م.**، ص 160، 706.

29 كـذا في أ وب. وهي إحدى أهـم واحـات بـلاد الجريـد، تقـع مسـافة 10 كـم شـمال تـوزر. انظر: العياشي، **ن. م.**، ج 2، ص 537 ؛ الناصـري، **ن. م.**، ص 160، 705.

30 في ب : بقرب قرية.

31 عاصمـة بـلاد الجريـد وأكبـر واحاتهـا علـى الإطـلاق. انظـر : العياشـي، **ن. م.**، ج 2، ص 535-537 ؛ الناصـري، **ن. م.**، ص 160، 701. وقـد ورد رسـم تـوزرت لـدى الزبـادي، **بلـوغ المـرام بالرحلـة إلـى بيـت الله الحـرام**، تحقيـق محمـد زينهـم محمـد عـزب، القاهـرة، 2006، ص 18، 20.

32 وهـو أبـو هـلال السـدادي، أحـد أوليـاء الجريـد المشـهورين الذيـن عاشـوا في النصـف الثاني مـن القـرن 7 هـ/13 م. دُفـن بزاويتـه ببلـدة سـدادة التـي أصبحـت تُسـمى مجازا بلـدة أو زاويـة سـيدي بوهـلال. انظـر : ابـن ناجـي، **معالـم الإيمـان فـي معرفـة أهـل القيـروان**، تونـس، 1993، ج 4، ص 50-52 ؛ العياشـي، **ن. م.**، ج 2، ص 533 ؛ الناصـري، **ن. م.**، ص 161، 700.

33 أي شط الجريد الحالي. انظر وصفها في : العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 125 ؛ الناصري، **ن. م.**، ص 161، 697.

34 العياشـي، **ن. م.**، ج 2، ص 533 ؛ الناصـري، **ن. م.**، ص 161-162. وهـو اسـم المـكان مندثـر الآن، وموقعـه لا محالـة جهـة المنشـية شـمال مدينـة قبلّـي حيـث تكثـر أسـماء الأماكـن المنسـوبة إلـى الزوايـا مثـل زاويـة العـرب وزاويـة العانـس وزاويـة الحـرث، ولعـل زاويـة الرمـل هـو اسـم قـديم لإحداهـا.

35 العياشـي، **ن. م.**، ج 2، ص 533 ؛ الناصـري، **ن. م.**، ص 162، 696. وقـد اندثـر اسـم المـكان حاليـا، والأرجـح أنـه يقـع فـي محيـط واحـة ليماقـس الحاليـة.

36 سقطت في ب.

وسرنا[37] وبتنا بموضع لا ماء فيه يُسمّى نبْش الذِيب[38].

ومن الغد، وهو يوم الجمعة الثامن من شعبان وأول يوم من المصيف[39]، رحلنا، وهبّ علينا أيضا ريح حارّة طول يومنا، ونزلنا حامة قابس[40] عند غروب الشمس، وهي عين حارّة جدا، ماؤها غزير بقرية كبيرة ذات نخل كثير، [ 11 و ] وبين العيْن والقرية حصن مَعمور[41] برُمَاة من قبل صاحب تونس، لأن تلك الأرض من عَمَلِها، فبتنا بها.

ومن صبيحتها، مَرّ سيدنا على تلك العيْن فاغتسل بها من أجل مرض خفيف كان ألمّ به منذ أيّام، وحرارة اعْتَرته، مع تعبِ الطريق، بعد أن سُتِر بكساءٍ إزاء بناءٍ هناك. ولمّا فرغ، صعد على سطح العيْن وصلّى ما تيسّر، وجلس يستريح، فجاءه رجل من الحصن بماء بارد مُهيّأ للشرب عندهم لعزّة الماء البارد هنالك، فأخذ من يده سيدنا الآنية وشرب، وناولنا فشربنا، ودعا له، فجاء في أَثَرِهِ كلّ مَن في الحصن يتبرّكون بسيدنا ويطلبون منه[42] الدُعاء، فدَعَا لهم بخير.

ثم ركب دابته وسار، وسرنا معه حتى لحقنا بالركب، وكان يوما شديد الحرّ والظمأ لا يكاد أحد يُرْوَى من الماء. وهبّت علينا من أول النهار ريح حارّة جدا، أعظم من اليومين قبله، وتتابعت علينا طول النهار، لم تفتر هنيّة، وهي التي يُقال لها اريفي[43]، مع غَيْم علينا استوى، لم تظهر[44] معه الشمس في الهوى. ثم اشتد المرض بسيدنا واعترته حُمّى حادّة، وهو على دابته ماسكٌ نفسه عليها [ 11 ظ ] بمشقّة وكُلْفة من شدّة صبره وثبات جأشه، فإذا ثقل به المرض نَزل واستراح ثم ركب وسار، فعل ذلك غير مرّة.

ثم وصلنا عند الزوال واديا[45] على نحو فرسخ من قابس، فيه أشجار وماء وعيون حوله باردة تصبُّ فيه. وقد ثَقُل به الأمر فلم يستطع حركة معه، فنزل ونزلنا هنالك.

وسار الركب، فنزل قابسًا[46] وبقينا معه نحو العشرة، فاضطجع على شقّه الأيمن وأمر بعض الحاضرين بإراقة الماء على رجليْه، ثم أغمي عليه، وبَقِيَ مدّة طويلة وهم يَريقون الماء على رجليْه فحصلت له بعض استراحة، ثم أفاق وتوضأ وصلّى الظهر مع الحاضرين جالسا، فلما جاء وقت

---

37 سقطت في ب.

38 ما زال هذا الموضع معروفا بالاسم ذاته مسافة 30 كم جنوب غربي حامة قابس. انظر: العياشي، **ن. م.**، ج 2، ص 533 ؛ الناصري، **ن. م.**، ص 696.

39 يوم الجمعة 8 شعبان 1100 هـ/28 ماي 1689 م.

40 تُعرف أيضا بحامة مطماطة، وتقع مسافة 30 كم غرب قابس. انظر: العياشي ، **ن. م.**، ج 2، ص 533 ؛ الناصري، **ن. م.**، ص 162، 691، 732.

41 نعتقد أن هذا الحصن تواصل للقصبة، موضع سكن الوالي زمن رحلة التجاني، والتي استولى الخراب عليها آنذاك. انظر: التجاني، **رحلة التجاني**، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تونس، 1981، ص 136. ويظهر أن موضعه يوافق برج الحامّة حاليا. وفي وصف القادري تأكيد للدور الدفاعي للحامة بعد حملة اخضاعها عل يد محمد باي المرادي حوالي سنة 1098 هـ/ 1687 م. راجع : الوزير السراج، **ن. م.**، ج 2، ص 546.

42 سقطت في أ.

43 لا يعرف هذا الاسم حاليا بالجنوب التونسي.

44 في ب : ثم ظهر.

45 وهو المعروف بوادي قابس أو وادي العيون. راجع عنه : المرزوقي ( محمد )، **قابس جنة الدنيا**، القاهرة، 1962، ص 19-25.

46 أشهر من أن تُعرّف. انظر : العياشي، **ن. م.**، ج 2، ص 533 ؛ الناصري، **ن. م.**، ص 163، 677.

العصر، صلّينا وصلّى معنا جالسا أيضا، وركب وركبنا وذهبنا حتى وصلنا قابسا حيث نزل الركب.

فقصدنا مع سيدنا مقبرتها لزيارة أبي لُبَابَة بن عبد المنذِر الأنصاري الأوسي[47] – رضي الله عنه – صاحب رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – وأحد النقباء، وقبرهُ هنالك شهير[48]، عليه قبّة حسنة بفناء مسجد، فدخل الروضة مع جملة من الأصحاب، وجلس بعضهم لضيق الموضع عند الباب، واشتغل الناس بذكر الله وتلاوة القرآن والصلاة على رسول الله – صلى الله عليه [12 و] وسلم –، وأخذوا في التضرّع والخشوع وانسكاب الدموع، ووقع منهم الجدّ والتشمير، وأصابهم وجل كثير، وليس لهم هَمّ ولا ابتهال إلّا في طلب الشفاء لسيدنا في الحال، فتحقّقت حينئذ الإجابة، من بركة أبي لُبابة، المعروف في الصحابة، وكانت ساعة مُستطابة، وحصلت للناس استراحة، ووجدوا من أنفسهم راحة. ثم انقلبنا للركب[49] راجعين، وفي شِفائه طامعين. ثم حصل له آخر الليل من نفسه خفّة ونشاط، وحصل للناس من أجل ذلك انبساط، ثم جيء بمَحْمَل[50] من خشب يُسمّى الدَّربُوكة[51]، فشدَّت على بغلته وجعل عليها كساء يَقيه الحرّ، فركب فيها يومين فقط، ثم عوفي بعد ذلك والحمد لله.

ثم رحلنا من قابس، وهي قرية كبرى قريبة من البحر، ذات نخل كثير وأجنة وماء جار طيب غزير، فبلغنا بعد العصر قرية ذات نخل وآبار تُسمّى عَرَّامًا[52]، فوجدنا بها أناسا فقراء، فحذّرونا من أعراب هنالك، كَتائب وجماعات، يريدون شنّ الغارات، فضرب الله على [12 ظ] أيديهم وكفانا إغارتهم وتعدّيهم، ولم نر بعدُ من بركة سيدنا إلّا من يُسلّم، وبالخير يتكلّم.

ثم سرنا، فنزلنا عشيّة واديا فيه مُوَيْة[53] يجري.

ثم رحلنا من الغد، وبتنا قرب آبار السلطان[54].

ومن غده سرنا، فنزلنا عند غروب الشمس موضعا فيه آبار عميقة شتّى، ماؤها غزير لكنه مرّ، يُقال له ابن كَرْدَان[55].

---

47 سقطت في ب.

48 تقع هذه المقبرة خارج بلد قابس القديمة في غربيها، وقد تحدث ابن ناجي عن «مسجد أبي لبابة» وعن قبر عليه لوح مكتوب فيه: «هذا قبر أبي لبابة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم»، انظر: ابن ناجي، **ن. م.**، ج 1، ص 12. كما زاره بعض الرحالة المغاربة في العهد الحديث مع إبداء بعض الشك حول صحة نسبة المقام. راجع: العياشي، **ن. م.**، ج 2، ص 533؛ الناصري، **ن. م.**، ص 163، 685.

49 في ب: إلى الركب.

50 في ب: بمحمول.

51 شبه قفص من الخشب، تنقل فيه العروس الشابة يوم الزفاف من بيت أهلها إلى بيت الزوجية. راجع: دوزي (رينهارت)، **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة محمد سليم النعيمي، بغداد، 1980، ج 4، ص 314.

52 عرّام حاليا مسافة 40 كم جنوب قابس. انظر: العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 129؛ ج 2، ص 532؛ الناصري، **ن. م.**، ص 677.

53 كذا في أ وب، وهي عبارة عامية تعني الماء القليل.

54 يُعرف إلى الآن باسم بيار السلطان وحاسي السلطان، مسافة 30 كم شرقي مدينة مدنين على طريق بن قردان. انظر: العياشي، **ن. م.**، ج 2، ص 532.

55 رسمت الكاف بثلاث نقاط سفلية، مما يعني أنها توافق جيما معقودة. وهي قرية بن قردان الحالية، وسميت في المصادر أيضا سواني ابن كردان أو سواني ابن قردان. انظر: العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 129، ج 2، ص 532؛ الناصري، **ن. م.**، ص 165، 675.

ثم من الغد سرنا، فبتنا ببرج المِلْح[56] على شاطئ البحر .

ومن الغد رحلنا، فمررنا ضحوة بقرية ذات نخل تُسمّى الزَّوَارَة الغربيّة[57]، فيها آبار عميقة وماؤها عذب، فسقينا منها وسرنا. ثم مررنا عند الظهر بقرية أخرى مثلها تُسمّى الزَّوَارَة الشرقيّة[58].

ثم سرنا، وبتنا بموضع يقال له مَلِيتَة[59].

ومن غد ذلك اليوم نزلنا بالزاوية[60] عشيّة، وهي قرية كبيرة ذات نخل وماء وسواني عديدة بأجنّتها.

ومن غدها نزلنا زَنْزُورًا[61] عند الزوال، فبتنا به، وهي قرية فيها أجنّة وفواكه ونخل وماء عذب.

ثم من الغد وصلنا مدينة طرابلس وقت الضحى، وذلك يوم الأحد السابع عشر من شعبان »[62].

## ب- رحلة الإياب

« ......... ثم خرجنا من طرابلس المحروسة قاصدين مدينة فاس، وكان خروجنا منها صبيحة يوم الأحد العاشر من رمضان[63] فكانت مدّة[64] إقامتنا بها ستة عشر يوما، فنزلنا ذلك عند الزوال الغار[65] والصياد[66]، قريتان، فبتنا بهما.

ثم من الغد، نزلنا بعد[67] الزوال صرمان[68]، قرية فبتنا بها.

ثم من الغد، نزلنا عند العصر موضعا يقال له مليتة على مسافة من صومعتها، فبتنا.

---

56 يُسمى أيضا قصر الملح وهو مندثر حاليا، ويظهر أنه كان يقع بجهة رأس جدير / جزيرة فروة على الحدود التونسية الليبية. انظر: العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 129، ج 2، ص 532 ؛ الناصري، **ن. م.**، ص 166، 675.

57 تسمى أيضا زوارة الصغرى ووطّن، وتعرف أيضا ببلد المرابطين. انظر : الناصري، **ن. م.**، ص 670. راجع : الزاوي ( الطاهر أحمد )، **معجم البلدان الليبية**، طرابلس، 1968، ص 358.

58 تسمى أيضا زوارة الكبرى، وكانت تدعى كوطين، تقع مسافة 109 كم غرب طرابلس. انظر : الناصري، **ن. م.**، ص 670. راجع : الزاوي ( الطاهر أحمد )، **ن. م.**، ص 325. ونلاحظ أن أغلب الرحالة يدمجون الزوارتين الغربية والشرقية ويسميانها الزوارات. انظر : العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 130؛ الناصري، **ن. م.**، ص 166 ؛ الورثيلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، تحقيق محمد بن أبي شنب، بيروت، 1974، ص 130، 645، 649.

59 قرية شرقي زوارة. انظر : الناصري، **ن. م.**، ص 166، 669. وراجع : الزاوي ( الطاهر أحمد )، **ن. م.**، ص 325.

60 سماها القادري في رحلة العودة الزاوية الغربية. انظر : العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 133، ج 2، ص 532 ؛ الناصري، **ن. م.**، ص 669. وراجع : الزاوي ( الطاهر أحمد )، **ن. م.**، ص 150.

61 وترسم أيضا جنزور، قرية على مسافة 12 كم غرب طرابلس. انظر : العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 134، ج 2، ص 531 ؛ الناصري، **ن. م.**، ص 166. وراجع : الزاوي ( الطاهر أحمد )، **ن. م.**، ص 171.

62 يوم الأحد 17 شعبان 1100 هـ/ 6 جوان 1689 م.

63 يوم الأحد 10 رمضان 1101 هـ/ 16 جوان 1690 م.

64 سقطت في ب.

65 موضع معروف إلى الآن، يبعد مسافة 18 كم غرب طرابلس.

66 صياد أو سياد : بلدة غربي طرابلس مسافة 20 كم. انظر : الناصري، **ن. م.**، ص 668. وراجع : الزاوي ( الطاهر أحمد )، **ن. م.**، ص 114. والآن أصبحت تشكّل صحبة الغار تجمعا سكنيا واحدا يسمى صياد الغار.

67 في ب : عند.

68 قرية غربي طرابلس مسافة 58 كم على حدود الزاوية. انظر : العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 133. راجع : الزاوي ( الطاهر أحمد )، **ن. م.**، ص 213.

ثم من الغد نزلنا عند الزوال الزوارة الغربية، فبتنا بها وسقينا من آبارها العذبة للمَفَازة[69].

ومن الغد ارتحلنا، [ 68 و ] فنزلنا بين الركزة والماجر[70].

ومن الغد عند الزوال نزلنا سواني ابن[71] كردان[72] الشهيرة البُنيان، وماءها مرّ جدا، فبتنا بها وسقينا الإبل والبهائم[73].

ومن الغد، نزلنا قرب آبار السلطان، فبتنا.

ومن الغد، جزنا وادي السمر[74]، وبتنا.

ثم من الغد، نزلنا وادي عرّام[75]، ووجدنا من الماء ما قضينا به المرام. ومن الغد ارتحلنا، فمررنا بقرية عرّام ونخيله، وجزنا الزاوية[76] أيضا، وبتنا على مويّة قريب منها.

ثم من الغد، ارتحلنا، فمررنا ضحوة بمدينة قابس، فلم نُعرّج عليها لعدم احتياجنا إليها. وسرنا حتى وصلنا حامّة قابس ذات المياه القويّة الحارّة، فبتنا بها.

ومن الغد، نزلنا واد النخلة[77].

ثم من الغد، عند الزوال نزلنا قصير الرمان.

ثم من الغد، عند العصر نزلنا زاوية الرمل.

ثم من الغد، قطعنا السبخة البيضاء ونزلنا عند الزوال زاوية سيدي أبي هلال.

ثم من الغد، في أول[78] النهار، نزلنا مدينة توزرت، وخرجت منها خيل للركب يتلقونه[79]. ولما نزلنا اشتد الحرّ، فركب سيدنا ونحن معه لبعض أجنّتها، وقال بها فلم يَرجع للركب[80] إلى أن جنّ الليل، وبتنا في حفظ الله.

ومن الغد، نزلنا وادي المنصف[81] في[82] نصف النهار وواقعتنا ليلة القدر فأحييناها [ 68 ظ ] مع سيدنا[83] هنالك.

---

69 سقطت في ب.

70 سقطت واو العطف في ب. ولم نهتد إلى موضعها. وقد تكون الركزة تصحيف عن الزكرة، وهو موضع يُعرف حاليا بعقلة الزكرة على مسافة 5 كم شرق بن قردان في اتجاه رأس جدير.

71 سقطت في ب.

72 رسمت الكاف بثلاث نقاط سفلية، تماما كرحلة الذهاب.

73 سقطت الإبل والبهائم في ب.

74 كذا في أ وب، وهو وادي السمار حاليا، الذي يصب في خليج بوغرارة. انظر : العياشي، **ن. م.**، ج 1، ص 129 ؛ ج 2، ص 532 ؛ الناصري، **ن. م.**، ص 676.

75 وادي عرام حاليا، يمر مسافة 2 كم شرق قرية عرام الحالية.

76 لا نعتقد أن القادري يقصد زاوية بعرام، فالرحالة الذين مروا بها أشاروا إلى مقبرها وعدّدوا الأولياء المدفونين بها، لذا يبدو أن المؤلف يقصد زاوية سيدي سلام جنوب زريق.

77 يسمى أيضا وادي أم النخلة، ويقع مسافة 25 كم جنوب غرب حامة قابس. انظر : الناصري، **ن. م.**، ص 162، 695.

78 سقطت في ب.

79 في ب : يلقونه.

80 في ب : إلى الركب.

81 يظهر أن اسم هذا الوادي قد اندثر حاليا، وهو بالطبع مختلف عن موضع المنصف المذكور في رحلة الذهاب. ونشير إلى وجود موضعا يدعى "بير النص" منتصف المسافة بين الحامّة والشبيكة.

82 سقطت في ب.

83 في ب : سيدي.

ومن الغد، ارتحلنا فنزلنا وادي تامغرة.

ثم من الغد، نزلنا[84] واد غيسران.

ثم من الغد، جاوزنا النفيضة وبتنا قريبا منها.

ومن الغد[85]، وهو يوم الجمعة نزلنا[86] زريبة الوادي، فاستهل علينا بها[87] شهر شوال فبتنا بها.

وارتحلنا من الغد، يوم السبت، وهو[88] يوم عيد الفطر[89]، فسرنا إلى أن حلّت[90] النافلة فوقفنا مع سيدنا بموضع هنالك، واجتمع جلّ الركب، وجلسوا حتى جاء أمير الركب والقاضي وخطب الإمام. ولما فرغنا أكبّ الناس على سيدنا يدعون بالمغفرة ويدعوا لهم بها على عادة الناس في العيد. ثم ركبوا وركبنا مع سيدنا وانصرفنا، لله الحمد. فلم ننزل إلى أن وصلنا وادي الناموس، فبتنا به.

ومن الغد، مررنا على المسيد حيث ضريح سيدنا عقبة بن نافع الفهري ( رضي الله عنه )[91]، فذهب سيدنا لزيارته وذهبنا معه إلى أن وقفنا بباب حَرَمِه ساعة، وقرأ[92] الفاتحة، ولم يدخل الروضة لأمر عرض هنالك، وانصرفا للحوق الركب[93] فاجتمعنا به، وسرنا إلى أن وصلنا مدينة بسكرة وقت الزوال من يوم الأحد الثاني من الشهر[94]، فنزلناها وأقمنا بها أياما أربعة[95] ».

84 في ب : مررنا على.
85 سقطت ومن الغد في ب.
86 سقطت في ب.
87 سقطت في ب.
88 سقطت في ب.
89 يوم السبت 1 شوال 1101 هـ/7 جويلية 1690 م.
90 في ب : إلى وقت.
91 إضافة في ب.
92 في ب : وقرأنا.
93 في ب : بالركب.
94 يوم الأحد 2 شوال 1101 هـ/8 جويلية 1690 م.
95 في ب : أربعة أيام.



صورة من المخطوط أ، ورقة 11 وجه.



صورة من المخطوط ب، ورقة 112 وجه.